رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَق * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ)[350]. وكما يفعل حجر يُلقى في ماء راكد، اهتزّت بركة الحياة، صحا ماؤها الهامد بعد موات، تحرّك بعد وَسَن وأَسَن، انتفض وانداح وساح، دوّم كالدوّامات، تشكّل حلقةً تنجب حلقةً، تليها حلقة، تباعاً تباعاً دار حلقات وراء حلقات، جرى النبض في ركود الوجود. فالكلمة معرفة، والمعرفة حياة، والدعوة إليها من عند ا. * * * منذ تلك اللحظة، أدرك الزهراء، أنّ كلّ ما حولها غدا غير ما كان. ما من حركة عضو، أو خَلْجة[351] لمحة، أو نأمة[352] صوت، أو نظرة عين، أو رفّة هدب، أو سرحة خاطر، أو خفقة قلب، إلاّ بدا كأنّما تهمس في ضمير الصغيرة: «وداعاً أيها الهدوء!». لكلّ مشيم ومسموع ومرئيٍّ لغة بليغة التعبير، حتّى الصمت نفسه كان ينطق بالتغيير، حتّى انسياح الشعور. فالأب الحبيب هو النبي الموعود، حامل رسالة ربّ العالمين إلى العالمين، الداعي بالتي هي أحسن إلى الطريق القويم، رافع مشاعل النور الحقّ ليبدّد ظلام الجهالة البهيم. ولكن لم تكن فاطمة يومنذ تحدس الأحداس، ولا تستشفّ[353] بالاستجلاء ما وراء ستر الغيوب، ولا تترسّل مع جموح الخيال، ولا تندفع مع وفز[354] الإحساس، إنّما